نقد و تحرّي في كتاب
«الإمام عليّ (ع) صوت العدالة الإنسانيّة»

الدكتور محسن الويري
عضو الهيئة العلمية
ـ جامعة الإمام الصادق (ع) ـ
طهران *

المستخلص :

ضمّت هذه المقالة :

● معلومات مختصرة حول محرِّر كتاب «الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة» ثمّ وصفاً للطبعة الأُولى التي صدرت في بيروت سنة ١٩٥٦ م بمجلد واحد، والطبعة الثانية الصادرة سنة ١٩٥٨ بخمسة مجلّدات.

● قسّمنا الامتيازات الخاصة التي تميّز بها هذا الأثر إلى تسعة أقسام، وبحثناها على الترتيب الآتي:

أ ـ تكريس هذا الأثر لأمير المؤمنين علي (ع).

ب ـ جعل الكتاب ضمن مجموعة النظريات الحديثة المدوّنة حول التراث الشرقي والإسلامي.

* . دوّن الأستاذ محسن الويري مقاله هذا باللغة الفارسية وعرّبه مدير تحرير المجلة الأستاذ «قيس آل قيس».

جـ ـ وضع هذا المصنّف ضمن قائمة كتب أبحاث المسيحيّين المنصفة حول الإسلام.

د ـ العناية الواجبة بالجوانب المهمة لحياة أميرالمؤمنين عليّ (ع).

هـ ـ النثر الجميل الجذاب المستعمل في هذا الأثر.

و ـ الإبداع في تنظيم وتقسيم الموضوعات.

ز ـ اتّباع طريقة خاصة في التدوين تؤمّن للقارئ المقارنة وحسن فهم الموضوع.

ح ـ في موضوع سيرة الإمام علي (ع) النظريّة والعمليّة، ركّز المؤلف وبشكل نسبي على مدار خاص وهو «العدالة».

ط ـ الظرافة والخلّاقية وحُسن التحليل الموضوعي.

وقد ذكرنا النقاط الجديرة بالبحث والدراسة والتأمل في قسمين: المسائل العامة (الرئيسية)، والمسائل الفرعية (التفصيلية).

في قسم المسائل العامة (الرئيسية)، بحثنا تسعة مواضيع وكما يلي:

أ ـ صعوبة نقد الكتاب لإتخاذه نمطاً واحداً محدَّداً.

ب ـ تقديس القوميات والقوميّة العربيّة.

جـ ـ دراسة شخصية الإمام عليّ (ع) على اعتباره شخصية عربية.

د ـ الإستغناء عن الإرجاع والإحالة وعدم ذكر المصدر والمستند.

هـ ـ لا وجود لإطار نظري معيّن.

و ـ لم يتخذ المؤلِّف خطّة معيّنة في تحقيق وتدوين هذا المؤلَّف.

ز ـ الإنسلال من الموضوع والدخول في مواضيع لا علاقة لها بموضوع البحث.

ح ـ الإيهام المسيطر على المؤلف نتيجة الأفكار الماركسيّة.

ط ـ خُلو الأثر من الفهارس والجداول البيانيّة.

ي ـ كما بحثنا في قسم المسائل الفرعيّة ٢٤ نقطة الزاميّة.

[قال المؤلف]:

«إنّك ما ضربت بعينك صفحات هذا التاريخ إلّا لتدرك حقيقة حقّة، وهي أنك قِلَّما تجد

في شخصياته العظيمة مَن أجمع الناس على حُبّه وإجلاله والإنتصار له، إجماعهم على حُبِّ عليّ بن أبي طالب، وعلى إجلاله والعطف على قضاياه»، (ج ٥، ص ١٢١٥).[١]

كتاب «الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة» كتاب حول شخصية تُعد محور العدالة، الإمام عليّ (عليه السلام)، كتبه الأديب والكاتب اللبناني المعاصر جورج سجعان جرداق، وتُرجم إلى الفارسية بعنوان «إمام علي، صداي عدالت إنساني»[٢].

[حياة المؤلف]:

وُلد جورج جرداق سنة ١٩٣١ في «مرجئيون» لبنان، تعلّم العربية والفرنسية في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى بيروت حيث دخل الجامعة، وكان أثناء الدراسة الجامعية يعمل في مجال الأدب والتأليف وينشر نتاجه الأدبي في لبنان وبعض الدول العربية. وكان نبوغه الأدبي قد ظهر عليه مبكّراً، فكتب مسرحيته الأُولى وهو ابن ١٣ سنة، ودوَّن أول قصصه وهو ابن ١٧ سنة. وكان جرداق إضافة إلى ما ذكرنا شاعراً ممتازاً، ونشر قصائده الشعرية في ٥ دواوين، منها:

- قصائد حُبّ
- أبدأ الأغاني

وقد نُشر له إضافة إلى دواوينه عدد من المسرحيات والقصص الرومانتيكية والتراجم القصصية والسِّيَر، منها:

- كتاب صلاح الدين
- شاعر وجارية في قصور بغداد
- فاغنر والمرأة
- الوالي
- العرب والإسلام في الشعر الأوروبي[٣]

ومن الجدير بالذكر أنّ جورج جرداق قد استفاد من المعلومات التي جمعها من المصادر المتعددة لتأليف كتاب «الإمام علي صوت العدالة الإسلامية»، وألّف منها كتاباً آخر بعنوان

«روائع نهج البلاغة»، وقد تُرجم كتاب «روائع نهج البلاغة» إلى الفارسية مرتين اثنتين، الأُولى تحت عنوان «شگفتيهاي نهج البلاغة» بقلم فخرالدين حجازي، والثانية تحت عنوان «بخشي از زيبائيهاي نهج البلاغة» بقلم محمد رضا أنصاري.[٤]

وفي السنوات الأخيرة زار جورج جرداق إيران مرتين، الأُولى بدعوة من مديرية تدوين كتب العلوم الإنسانية الجامعيّة (سمت) (سازمان تدوين كتابهاى علوم انساني دانشگاهها ـ سمت)، والثانية بدعوة من مؤتمر «تمجيد الشاعر الإيراني المهشور ـ سعدي الشيرازي». ويسكن الأستاذ جرداق حالياً في محلة الأشرفيّة ببيروت.

وصف الكتاب:

طبع هذا الكتاب لأوّل مرة بمجلد واحد، سنة ١٩٥٦ م، في بيروت، وقدّم له الأستاذ ميخائيل نعيمة. ولا يخفى على القارئ العزيز أنّ الأستاذ نعيمة أحد كبار الأدباء والكتّاب المسيحيّين المعاصرين في لبنان، وجاء في هذه المقدمة: بطولات الإمام علي (ع) ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته وطهارة وجدانه وسحر بيانه وعمق إنسانيته ونصرته للمظلوم والمحروم كما بيّن بأسلوبه الخلّاب عمق الإنسانية ودفأ الإيمان وعزة النفس و... . ثمّ تحوّل إلى مميزات الكتاب وأشار إليها حيث بيّن قدرة البيان النافذ والأسلوب العاطفي المتلألأ الذي لا يجاريه أسلوب آخر قوة وجمالاً وكاد يضاهي الشعر مكانة وصياغة، كما أشار إلى التقسيم المتعادل بين حجم الفصول المختلفة، وأشاد بالشجاعة الأدبية للمؤلف حيث بحث المواضيع السياسية والأدبية والإجتماعية والإقتصادية العلوية على مسرح حياتنا المعاصرة. إنّه يُبرز عليّاً (ع) في غير الصورة التي أبرزه بها الكتّاب والباحثون منذ أربعة عشر قرناً حتى يومنا هذا.

لم يلقَ كتاب عربيّ حتى الآن، من الإقبال عليه والإهتمام به، ما لقيه هذا الكتاب، وقد أشار الناشر ـ دار الفكر العربي ـ الذي قدّم هذا الكتاب في خمسة مجلدات إلى أنه أروع إنتاج للفكر العربي في العصور الحديثة جميعاً، وقد استقبلت الملايين هذا السفر الخالد برحابة صدر ورغبة مُلحّة في الحصول على نُسخ منه. وقد ترجم إلى اللغات الفارسية والهندية

والإنجليزية.[٥]

وقد أدّى هذا الإقبال الهائل إلى أن يقوم أحد الناشرين العراقيين إلى طبع الكتاب بدون إجازة الناشر صاحب الإمتياز مما دعا «دار الفكر» صاحبة الإمتياز وعدد من الكتّاب والباحثين شنّ حملة إعلامية شديدة حيث لم يبق للناشر العراقي سوى سوء السمعة.[٦]

ترجم الطبعة الأُولى (سنة ١٩٥٦ م) المشار إليها فيما تقدم إلى اللغة الفارسيّة الأستاذ «صدر بلاغي» ولم يطبع إلى هذه الساعة، كما ترجمه الأستاذ «أبو أبوالحسن شعراني» وطبع في إيران لكنه لم يحصل على الإقبال المنتظر.

قرّر الأستاذ جورج جرداق تكميل هذا المؤلف فثابر حتى أخرجه بحلته الجديدة التي طبعت في خمسة مجلدات من قبل «دار الفكر» سنة ١٩٥٨ م، وقد حمل كل مجلد من هذا المؤلف إسماً خاصاً به، فالمجلد الأول باسم «عليّ وحقوق الإنسان»، في ٢٥٦ صفحة، وبدون فهرست للموضوعات، وأشار فيه إلى أحوال وأوضاع الحجاز، وآل أميرالمؤمنين (ع)، كما أشار إلى ميّزات الإمام العبادية والأخلاقية والإجتماعية والعلمية وفي الختام نقل مقتطفات من عهد له (ع) كتبه لمالك الأشتر لمّا ولّاه مِصْرَ.

أما المجلد الثاني فكان بعنوان «عليّ والثورة الفرنسيّة» في ٢٥٦ صفحة، بحث فيه الثورة الفرنسية وجذورها وأسبابها، ثمّ عمل مقارنة بين نظريات وأفكار ومبادئ عليّ (ع)، وبين مبادىء وأصول الثورة الفرنسية، ثم خرج بنتيجة تقول إن مبادئ الثورة الفرنسية الأربعة تنطبق مع ما هو متيسّر بين أيدينا من أخبار وخطب ورسائل الإمام علي (ع)، كما أنّ فطرته وطبيعته وهمّته وكرم خُلقه على اعتباره قائداً وخليفة وحاكماً وعالماً وإنساناً تحتوي كل تلك المبادئ والأصول.

المجلد الثالث وهو بعنوان: «عليٌّ (ع) وسقراطُ»، في ٢٣٩ صفحة، منها ٧٧ صفحة خصصها المؤلف لإكمال مواضيع المجلد الثاني، ثم انتقل إلى بيان مقتطفات من «وثيقة حقوق الإنسان الدولية»، حيث برهن أفضلية أفكار وآراء ونظريات الإمام عليّ (ع). دوّن الأستاذ جرداق في مطلع هذا المجلد مسائل أشبه ما تكون حصيلة بحث وأبعد ما تكون مقدمة لموضوع وأشار إلى نقاط أربع:

١ ـ وثيقة حقوق الإنسان الدولية وضعها أُلوف من المتفكرين ينتمون لمعظم دول الأرض، فيما وضع الدستور العلوي عبقري واحد هو الإمام علي بن أبي طالب (ع).

٢ ـ إنّ عليّاً (ع) يسبق واضعي هذه الوثيقة ببضعة عشر قرناً.

٣ ـ إنّ واضعي هذه الوثيقة قد ملأوا الدنيا عجيجاً فارغاً حول ما صنعوا وأكثروا من الدعاوة لأنفسهم، فيما تواضع ابن أبي طالب للناس، وربِّ العالمين لم يستعلِ ولم يستكبر.

٤ ـ وأخيراً كان واضعوا وثيقة حقوق الإنسان أول من سحق مفاد هذه الوثيقة وحرم الإنسان منها، بينما التزم عليّ (ع) خلال أيام حياته وإلى يوم شهادته بمفاد وأصول وعهود الدستور العلوي.

أما بقية المجلد الثالث فكانت تبين المواضيع المخصصة في عنوان المواضيع المطروحة في هذا المجلد حيث بدأ بفصل «عليٌّ وسقراطُ» وتطرق إلى حياة سقراط العالم والفيلسوف والمفكر اليوناني، ثمّ ذكر نماذج من أقواله، وتحول بعد ذلك إلى بلاغة الإمام علي (ع) وأشار إلى خطبه ورسائله وأقواله المأثورة ووصاياه، وهيّأ جرداق وجه المقارنة للقرّاء دون أن يدخل فيها (كما فعل في المجلد الثاني حيث دخل وقدّم استنتاجات دقيقة).

المجلد الرابع «عليٌّ وعصرُهُ» في ٢٥٤ صفحة، بدأه الأستاذ جرداق بالمقايسة بين الأُسرتين القريشيّتين، بني هاشم، وبني أُميّة، ثمّ تطرق إلى حوادث عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفّان وكيفيّة قتله، مع التأكيد على حقيقة قتل هذا الخليفة، ثمّ تطرّق إلى أهم حوادث عصر خلافة عليّ (ع)، ثم ذكر بأسلوب رقيق وسبك عالٍ وإنشاء ساحر خلّاب ارتقى به إلى أسمى آيات العاطفة شهادة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع).

المجلد الخامس: «عليٌّ والقوميّة العربيّة» في ٢٧٠ صفحة ومن المحتمل إنّ إسم هذا المجلد مستوحى من إسم أحد الفصول المذكورة في هذا المجلد وهو «عليٌّ هو الصيغةُ العالميّة للشخصيّة العربيّة» والظاهر أنّ هذا المجلد يعتبر بمثابة ملحق للأجزاء الأربعة التي سبقته، بدأه المؤلف بمقتطفات من آثار أبي العلاء المعرّي، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، مع توضيحات حول مكانتهم الأدبية وآثارهم، ثم ذكر في فصل من هذا الكتاب بعنوان «الأوروبيون والإمام» مكانة المستشرقين حيث قال: «في هؤلاء المستشرقين قلّة لم تعدل

ولم تنصف، أما لغاية مقصودة من عمل الغرب حين ينظر إلى الشرق نظرة خاصة وإمّا لخطأ في النظر... وفي هؤلاء المستشرقين كثرة طاغية تتصف بالعدل في الحكم والإنصاف الكثير، بالإضافة إلى تقييد البحث بالدليل والبرهان...».

ثم أشار في فصل «قالوا في هذا الكتاب» إلى نماذج من الكتب والرسائل التي وصلت إليه من كبار العلماء والأدباء والكتّاب كرسالة آية الله السيد محسن الحكيم، والإمام عبدالحسين شرف الدين، والسيد موسى آل بحرالعلوم (والذي حمل رسالة شفوية من آية الله العظمى البروجردي)، والأستاذ رشيد بيضون، والعلّامة المغفور له محمد تقي الجعفري التبريزي، والأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية، ثم ذكر في آخر هذا المجلد فهرست مواضيع كافة مجلدات هذ المصنّف.

والجدير بالذكر هنا هو أنّ «دار الروائع» قد طبعت هذا الكتاب مرّات متعددة، وذكرت على جلد طبعتها المتواجدة بين يدينا وهي بدون تاريخ:

- تفتخر «دار الرواع» التي نشرت هذا السفر الخالد للأديب والشاعر الكبير جورج جرداق، بأن تقدّمه للقرّاء العرب على أنه موسوعة لا غنى عنها لكل عربي، وهو الذي قيل فيه:
- إنّه يبرز عليّاً في غير الصورة التي أبزره بها الكتّاب والباحثون منذ أربعة عشر قرناً حتى يومنا هذا.
- إنّه سيطوّر نظرة العرب إلى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم.
- إنّ لمؤلفه قيماً يبرز فيها على كلّ من تناول هذا البحث من حكماء العرب وأدبائهم على اختلاف الملل والنحل قديماً وحديثاً، ومن حكماء الفرنجة كذلك.
- إنّه أروع إنتاج للفكر العربي في العصور الحديثة جميعاً!
- إنّه كُتب بحجة لا تقاوم... وأسلوب لا يُجاريه أسلوب آخر قوة وجمالاً.
- إنّ فيه من إبداع الشاعريّة وإشراقها ما يوازي شاهنامة الفردوسي.

ترجم الأستاذ السيد هادي خسروشاهي المجلدات الثلاثة الأُولى، وترجم المجلد الرابع المرحوم الشيخ مصطفى زماني، أمّا المجلد الخامس فقد قام بترجمته الدكتور أحمد بهشتي.

كما ترجم الأستاذ جلال الدين الفارسي ثلاثة فصول من هذا الكتاب إلى الفارسية سنة ١٣٤٦ هـ. ش وطبعت من قبل «شركت سهامي» بعنوان: «مرانيد كه نوحه گرند».

كما ترجم الأستاذ السيد هادي خسروشاهي هذا الكتاب إلى الفارسية ونشرته «انتشارات خُرّم» بمدينة قم سنة ١٣٧٠ هـ. ش في ستة أجزاء بثلاثة مجلدات.

وأعتقد أن من الضروري أن يترجم هذا الكتاب إلى الفارسية على أن تطابق الترجمة مع الأصل العربي، أرجو الباري سبحانه وتعالى أن يكون ذلك قريباً إن شاء الله.

النقد والتحرّي:

من الحري في نقد هذا الأثر وتحليله أن تُقَسَّمَ المواضيع التي يجب بحثها إلى قسمين مستقلّين عن بعضهما، القسم الأول تحت عنوان «امتيازات هذا الأثر»، والقسم الثاني «النقاط التي يجب بحثها ونقدها».

امتيازات هذا الأثر:

١ ـ تكريس هذا الكتاب لأميرالمؤمنين علي (ع):

إنّ القُدمة وحجم ما كُتب حول شخصية وسيرة أميرالمؤمنين الإمام عليّ (ع) دليل على سعة الموضوع الذي لم تصل إلى أغواره العميقة أو حتى ضفاف سواحله يد البشر رغم السعي المتواصل الذي بذله الإنسان.

نعم إن الفاصلة بين ما تلفظه الشفاه وتدونه الأقلام وبين حقيقة كينونة علي (ع) تُخبرنا أنّ كافة الألفاظ والكلمات والأقوال والأحاديث والروايات والخطب والمقالات التي قيلت وكُتبت حول هذا الإمام العظيم لم تفِ الموضوع حقّه كاملاً إذ لا يزال المجال واسعاً للمزيد. إنّ عالم البارحة واليوم وغدٍ ما انفكّ محتاجاً لمعرفة عظماء الرجال.

والإمتياز الرئيسي لهذا الأثر هو اهتمامه بالحصول على قطرة من بحر وعرض خطوط من هذه الصورة الجميلة الرائعة.

٢ ـ ترتيب الكتاب ضمن مجموعة النظريات الحديثة المدوّنة حول التراث الشرقيّ والإسلاميّ:

إنّ سيطرة التطور الفكري والإقتصادي والصناعي الغربي كان له صداه في بلدان المشرق حيث أوجد تحولاً أساسياً في حياة الشعوب، وأهم تلك التحولات وضع علامة إستفهام كبيرة على مفاهيم المعنويات، الحجج الاستدلاليّة، النشاط في إشعاعات التقاليد والعادات الشرقية الموروثة بشكل عام، وإشاعة الأمور الدينية بشكل خاص. وهذا ما أثار مشاعر رجالٍ لم تخدعهم مظاهر الحضارة الغربية حيث رفعوا شعار الحاجة إلى تجديد طُرق معرفة وتعريف هذا التراث وخاصة العلماء الملتزمين المتدينين حيث عكفوا على الدفاع عن الدين والثقافة والتعليم ولزوم إعادة النظر فيها بنظرة حديثة تتناسب وأفكار مجتمعات الزمن الراهن. وقد خطا عدد من العلماء وذوي التدبير من المسلمين أو الشرقيين خطوات واسعة وبدوافع مختلفة من أجل نفض الغبار عن جبين هذا التراث الشرقي والإسلامي الغالي، ومن ضمنهم علماء هذه الديار الخالدون، ومن الدوافع التي أدّت إلى هذه الخُطى هي: مرة بحافز الدفاع عن التراث، وأخرى بدافع صيانة التراث من التحريف والإبتذال، وحيناً بحافز إبعاد التراث عن الأفكار والنزعات المستوردة من الغرب، وأخيراً حتى من أجل التبحّر في العلوم والإستفادة من نظر مستجد أو طريقة حديثة في البحوث الشرقيّة، أو العثور على نقطة جديدة أو أفق جديد.

والكتاب الذي نتدارسه في بحثنا هذا هو من زمرة هذه الكتب والمصادر التي أشرنا إلى خواصها، ومن أجل البحث والتحري والنقد لفصول هذا المصنف يجب علينا الأخذ بنظر الاعتبار تلك الخواص بكاملها. ومن المحتمل أن يكون نظر الأستاذ «معروف سويد» القائل بانطباق هذا الكتاب مع روح العصر الراهن، هو إشارة إلى هذا الموضوع.[٩]

٣ ـ جعل هذا المصنف ضمن قائمة كتب أبحاث المسيحيّين المنصفة حول الإسلام:

من النقاط الجديرة بالإنتباه هي قُدْمَة الصِّلات بين الإسلام والمسيحيّة، ومسار تحول نظرة المسيحيّة للإسلام، هذا بالإضافة إلى الاتّحاد والتوافق التي ذكرته النصوص والتعاليم الإسلامية وما جاء في طيّات التواريخ المدوّنة حول سيرة المسلمين وصِلاتهم بالمسيحيّين.

القسم الأعظم من اضطراب وقلق المسلمين في روابطهم بأبناء الأديان الأخرى (وخصوصاً لانتهاء النصف الأول من القرن العشرين) كان نتيجة الحروب والصراع المفروضتين من المسيحيّين على المسلمين.

كما نرى المسيحيّة قد بدّلت نظرتها عن الإسلام والمسلمين تدريجياً وعلى مسار التاريخ، ولكن المسلمين لم يجدوا في هذه النظرة طعم المودّة ولذّة الإنصاف كي يُنزلوا المسيحيّين المنزة التي أرادها القرآن المجيد حيث ذكر أنّ المسيحيّين «أقربهم مودّة للّذين آمنوا»[١٠].

وفي سنة ١٩٦٥ صدر منشور هيئة الشورى الثانية بالفاتيكان حيث تضمّن الإعتراف بالإسلام ديناً سماويّاً وطالب المسيحيّين العيش مع الأمة الإسلامية بسلام وصفاء. وكانت كلمات هذا المنشور قد أنهت جوّاً مكدّراً ساد العلاقة فيما بين الدينين فترة طويلة من الزمن وفتح باب الأمل المُقام على المحبة والاحترام المتبادل.

كما يجب أن لا يغرب عن بالِنا أنّ الدين المسيحيّ لا يمكن أن يكون وحدة متكاملة، كما أنّ سالف الأفكار لأبناء الأمة الإسلامية (كأبناء أيّ أمة) تعتريها قلّة الدقة في الكلام والحوادث التاريخية. كما أنهم لم يضعوا حداً فاصلاً بين المسيحية في الشرق والمسيحية في الغرب، ولم يفرزوا بين معتقدات الكنائس المختلفة. أما الكتاب موضوع البحث فهو نموذج بارز للنظرة المنصفة لحقائق الحقيقة التي نقلها الكتّاب المسيحيّون حول الإسلام.

٤ ـ العناية الواجبة بالجوانب المهمة لحياة أميرالمؤمنين علي (ع):

تمكّن جورج جرداق في هذا الكتاب إظهار بعض فضائل أميرالمؤمنين (ع) الأحادية البارزة، مثل:

- ولادته في بيت الله الحرام
- نشأته في كَنَفِ الرسول (ص)
- التّآخي مع الرسول الأكرم (ص)
- أوّل من آمن برسول الله (ص)[١١]

كما كان مؤلف هذا الكتاب موفقاً جداً في عرض فصل «أدب الوفاء الإنساني» الذي يرتكز على تأثير الإمام علي (ع) على الآداب العاطفية والإهتمام بالنوائب والمصائب

والآلام والأحزان ومواساة المهموم ونُصرة المظلوم.

٥ ـ النثر الجميل الجذّاب المستعمل في هذا الأثر:

من الخصائص التي تجلب الأنظار في هذا الكتاب النثر الأدبي الجميل والأسلوب المكين السديد والنسق الفاخر السامي، ولا يخفى على القارئ العزيز أنّ جمال الأسلوب وحُسن النّسق وأفانين القول ومنهاج البلاغة يتذوّقها العربي بالفطرة ويخوص في أعماقها من سبر علوم البلاغة، أما الأسلوب وأفانين المنطق المستعملة في هذا المصنف تجعل غير الأعراب يشعرون بجمالها ويستسيغون لطافتها. وقد أشار إلى هذا عدد ممّن كتب نقداً أو دوّن تقريظاً لهذا الكتاب، وقد أشاد الجميع بالأسلوب المستحدث الذي استعمله جورج جـرداق في كتابه السّيرة [١٢] وأثنوا ثناءً حسناً على إنشائه الساحر [١٣]. ومن روائع فصول الكتاب (أو قمّة الروعة فيه) فصل بعنوان «لا تزجروهنَّ إنهُنَّ نوائح»، حيث تُرجـم إلى الفـارسيّة بهـذا الشكل «نيازاريد كه نوحه گرند» [١٤].

٦ ـ الإبداع في تنظيم وتقسيم الموضوعات:

من المزايا المهمة في هذا الكتاب مزيّة الإبداع والإبتكار في انتخاب عناوين الفصول وتقسيم الموضوعات.

٧ ـ اتّباع طريقة خاصّة في التدوين تؤمّن للقارئ المقارنة وحُسن فهم الموضوع:

إن المقارنة والحكاية (نقل الكلام عن قائله) والشواهد والبيّنات والأمثال التي استعملها المؤلف رغم كثرتها وخروجها في بعض الأحيان عن صلب الموضوع حتى يتبادر إلى ذهن القارئ بأنها حشوٌ زائدٌ ولكنها في الحقيقة مفيدة جداً من حيث أنها تؤمّن للقارئ المقارنة وحسن فهم ودرك الموضوع. ومنها مثلاً مقارنة آراء وأفكار أميرالمؤمنين علي (ع) بأفكار ومبادئ الثورة الفرنسية حيث كانت هذه المقارنة إبداع رائع مفيد جداً يُظهر عظمة أمام المشارق والمغارب، أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب (ع).

٨ ـ في موضوع سيرة الإمام علي (ع) النظريّة والعمليّة، ركّز المؤلف على مدار خاص وهو «العدالة»:

بالرغم من أنّ المؤلف سعى جاداً وبذل قُصارى جهده في بحث شخصية الإمام علي (ع) من كافة الجوانب إلّا أنه اتخذ محور عدالة علي (ع) أساساً يتّكي عليه البحث والتحقيق كما أنّ إسم الكتاب «عليّ صوت العدالة الإنسانيّة» يدلّ دلالة واضحة على رغبة المؤلف في بيان عدالة الإمام (ع) وكان دأبُهُ هذا بيّناً حتى أثناء بحث تاريخ عصر الإمام عليّ (ع). كما كان الإنسجام الموضوعي واجتناب التشتُّت أصلاً من أصول هذا الكتاب، هذا بالإضافة إلى أنّ انتخاب موضوع «العدالة» كموضوع محوري يدلّ دلالة واضحة على حَصافة وفطرة جورج جرداق وحنكته ولوذعيّته.

٩ ـ الأناقة والخلّاقية وحُسن التحليل الموضوعي:

إنّ طريقة البيان والتعبير والأسلوب الحديث والإلتفات الرائعة للمؤلف قد فتحت درباً جديداً وخلّاقية في تدوين تاريخ العرب من زمن الجاحظ وابن أبي الحديد المعتزلي إلى يومنا هذا حيث لم تخطر على بال أحد من المؤرخين والكتّاب مثل هذه الفكرة[١٥] ربّما يكون هذا مبالغة ولكن كما سنذكر فيما بعد انّ هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخيّاً بالمفهوم المتعارف عليه علميّاً ولكن في نفس الوقت لا يمكننا التغاضي عن أنّ المؤلف كان ذا اعتداد بنفسه حيث خاض في الموضوعات التاريخية وقدّم تحليلاً لعدد منها. مثلاً ما ذكره في موضوع «أدب التمرُّد»[١٦]، فإنّه يبيّن بشكل واضح دور التشيّع في الأدب الثوري مع ذكر شواهد صادقة، رغم أنه بحال من الأحوال خروج عن أصل الموضوع.

نقاط جديرة بالتأمُّل

إذا نظرنا إلى كتاب «الإمام علي (ع) صوت العدالة الإنسانيّة» من زاوية أخرى نرى أنّ هذا المصنف رغم احتوائه على مزايا خاصة إلّا أنه يحتوي على بعض نقاط جديرة بالتأمل وإمعان النظر حيث يمكن اعتبارها نقيصة أحياناً. ولبيان هذا قسّمنا الموضوع إلى جزئين، الجزء الأول الموارد العامة المتعلّقة بمجموع الكتاب، والجزء الثاني الموارد الجزئية المشاهدة في بعض مواضيع الكتاب.

الجزء الأوّل ـ الموارد العامة:

١ ـ صعوبة نقد الكتاب أو ترتيبه ضمن الموضوعات المشهورة في الفهارس:

من أجل نقد أيّ كتاب يجب تعيين موضوعه طبق فهارس الموضوعات المتعارف عليها ثمّ الشروع بالبحث والنقد وفق القاعدة المتداولة في نقد الكتب حسب الاختصاص الموضوعي، مثلاً نقد كتاب التاريخ يكون استناداً إلى القواعد والأسس المعيّنة لنقد المصنّفات التاريخية، ونقد الكتب الأدبية يتّبع مقوّمات خاصة به، لذا فإننا لا نتمكن أن نضع كتاب «الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة» ضمن أي مجموعة من المجموعات المتعارف عليها، لأنّ هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخياً حسب ما هو متعارف في المصنفات التاريخية، ولا هو كتاباً أدبياً ولا كتاباً رومانسيّاً ولا كتابَ أعلام. بناءاً على هذا لا يمكننا الإستناد إلى طريقة خاصة يعمل النُقّاد إستناداً إلى التقاسيم المتعارف عليها أدبيّاً والمشار إليها فيما تقدّم.

نعم إنّ موضوع الكتاب وأغلب محتوياته تميل إلى التاريخ ومصادره، ولكن طريقة تدوين الكتاب وأسلوب المؤلف لا يدعان مجالاً للناقد كي يضع هذا المؤلف ضمن المؤلفات التاريخية. كما أنّ الإبداع البيانيّ والقدرة الأدبية للكاتب تمكنت أن تنقل القارئ إلى بيئة صدر الإسلام والمحيط الذي عاشه أميرالمؤمنين على سطح هذه الدنيا الفانية حيث جعلته يعيش وسط دوّامة تلك الآونة وكأنه فرد من أفراد صدر الإسلام؛ وهذا جعل الكتاب يرتقي إلى مصافّ الكتب الرومانسيّة، وكذا بقية أنواع الآداب، وهذا ما جعل نقد هذا الكتاب صعب المنال.

إنّ الملاحظات والبيانات الواردة في آخر المجلد الخامس من هذا الكتاب، لم نشاهد فيها أثراً للنقد (إلّا في موضع واحد سنشير إليه فيما بعد)، ومن المحتمل أن النقد قد حُذف. حيث ذكر المؤلف نفسه مثلاً: إنّ الأستاذ صقر يوسف صقر كتب مقالة مُسهبة، وقال: ثم ذكر مؤلف الكتاب أسطراً من المقالة تؤيد الكاتب والكتاب[١٧].

٢ ـ تقديس القوميّة وخاصّة القوميّة العربيّة:

من النقاط الجديرة بالتأمل في هذا الكتاب النظرة الخاصة للمؤلف في مسألة القوميّة وخاصة القومية العربية، حيث اعتبر القومية رواية كبيرة عن الإنسانية يشترك فيها كافة أبناء البشر، حيث يتميز بها الإنسان عن أخيه الإنسان، لا سبباً للنفرة والتفرقة[١٨]. إضافة إلى هذا فإنّ القومية استطاعت أن تقف بوجه الاستعمار وتناضل من أجل الحريّة ومكافحة الفقر والجهل والبطالة والمَهْرَجَة[١٩] وعدم المساواة والظلم وقد فازت في عملها وعلى كافة الأصعدة. وقد اعتبر مؤلف هذا الكتاب أنّ كافة هذه الأعمال واجب رئيسي من واجبات القوميّة[٢٠]. كما أشار في مكان آخر إلى أنّ الاستبداد والضَّير الطامّة الكبرى للقوميّة، كما بيّن أن مقومات القوميّة الحقّة هو الدّأب من أجل تأمين رغبات الشعوب[٢١].

لا أعرف ما يقصد المؤلف من «القومية»، والظاهر أنّ المؤلف يلاحظ معاني جديدة للقوميّة. ولا نكاد نجد برهة تاريخيّة لم تكن القوميّة فيه سبباً لفرقة وتنافر أبناء البشر، في أيّ زمان كان مفهوم القوميّة لدى البشرية بهذا المعنى؟ وعلى أي حقبة من التاريخ يصدق هذا الإدّعاء؟ ألم يكن التعصب القومي عاملاً أساسياً في اشتعال نار الحروب التي أبادت البلاد والعباد طوال التاريخ؟ أليس القومية في تاريخنا المعاصر أداة بيد الاستعمار يتخذها ذريعة لتمزيق شعوب المعمورة؟ أليست القومية نوعاً من الاستبداد الفردي أو الجماعي عمليّاً ونظريّاً كما ذكر لنا التاريخ قديماً وحديثاً حيث أورد عشرات الأمثلة على ذلك؟ كما انّ ما ذكره المؤلف الموقّر في موضوع الأمة العربية والعطاء العلمي الذي قدّمته للبشرية، والإستفادة من منجزات الحضارات الأخرى، وتأمين حرية الفكر والعقيدة والبيان، واستقبال أفكار وآثار علماء البلاد الأخرى، و...[٢٢]، قد خلط بين أبناء الأمة العربيّة وبين أبناء الشعوب الأخرى التي آمنت بالرسالة المحمدية ودخلت الإسلام طوعاً ونهض من بين صفوفها رجال أدباء وعلماء كتبوا مؤلفاتهم بلغة الضّاد.

والحقيقة هنا هي إذا لم يؤمن العرب بالإسلام هل كان لهم دور في هذا المسيرة؟ هل صحيح ما ذكره المؤلف أنّ كافة صُنّاع الحضارة الإسلاميّة هم من الأعراب فقط؟ أو هل يعتبر كلّ مسلم تكلّم بالعربيّة أو دوّن مصنفاته بلغة القرآن أو أن كافة العلماء الذين قدّموا

هذا العدد الهائل من المصنفات باللغة العربيّة وفي كافة مجالات العلوم أن يُنسبوا إلى القومية العربيّة؟ الظاهر أنّ المؤلف قد جعل كلمة العرب مرادفة لكل ما هو جيد وممتاز وحسن حيث جعل الشخصيات الناطقة بالعربية من غير العرب عرباً أمثال: بلال الحبشي، سلمان الفارسي، عبدالله ابن المقفّع، صلاح الدين الأيوبي، وابن الرومي، أما الشخصيات الممقوتة البغيضة المكروهة أمثال سفيان بن حرب، زياد بن أبيه، ومروان بن الحكم، و... ، فقد نسبها إلى غير العرب.[٢٣]

وعندما يأتي البحث عن دور ومكانة الأقطار واللغات في القوميات يجعل الدين عاملاً مؤثراً في أفكار وفكر الأقوام، أما القومية العربية فهي في خارج محور هذا الأمر[٢٤]، كأن الأمة العربيّة قد حازت هذا المجد والسؤدد بدون الإسلام.

٣ـ دراسة شخصيّة علي (ع) كشخصيّة عربيّة:

نظراً إلى ما جاء في التسلسل ٢ أعلاه، يتبادر إلى الأذهان ما خطر على بال كاتب هذه السطور من أنّ النقطة الرئيسية الجديرة بالبحث والتدقيق والتأمل في هذا الكتاب هي فصل الجهة الدينية والإسلامية من شخصية أميرالمؤمنين وبحث شخصية هذا الرجل العظيم على كونه شخصية عربية، حيث ورد إسم عليّ (ع) في كل فصول الكتاب كبطل عربي، حتى الرسول (ص) فقد ذكره المؤلف على أنه صاحب رسالة عربية[٢٥]. ولكن لا يمكننا أن نعتبر هذا نقصاً وذلك لأنّ المؤلف كما نعرف غير عربيّ؛ أما الميل والنزعة العربيّة لدى المؤلف وبهذا العنف وهذه الشدة فلا مبرِّر لها، وإنّ نظرة المؤلف القومية وغير الدينية لأميرالمؤمنين عليّ (ع) تحتاج إلى تمعّن وتبصّر وتأمل وإلّا فمن الطبيعي أن يكون أمر توقّع وترقّب نظرة إسلاميّة أو التفاتة شيعية من المؤلف لا يتعدى كونه أمراً عبثاً باطلاً هدراً.

ليت المؤلف يلتزم بالحكمة القائلة: إنّ عظماء الإنسانيّة أكبر من أن يُحسبوا على قوميّة ما، بل هم للإنسانيّة جمعاء. ثم يعمل بها وينفك عن دأبه المتواصل عن حصر الإمام علي (ع) بالأمة العربيّة.[٢٦]

٤ـ عدم الإشارة إلى المآخذ والمصادر:

إنّ هذا المؤلَّف ليس بكتاب تاريخيّ حسب ما هو متعارف في علم التاريخ، ولكن

المطالبة بذكر مصادر ومآخذ الموضوع ليس بالإغراق والمبالغة، فنرى المؤلف يشير إلى مصدر أقواله ومأخذ أخباره حيناً ويغفل عن ذكر المصادر أحياناً كثيرة، فكل ما ذكر من الأخبار والأقوال عن أميرالمؤمنين عليّ (ع) عارية من المأخذ والمصدر. وكل ما أشار المؤلف إلى مصدره إجمالاً مثل منتخبات من «عهد له إلى مالك الأشتر» حيث لم يذكر الطبعة التي نقل عنها إن كان النقل من «نهج البلاغة»، وإن كان النقل من غير «النهج» فلم يذكر المصدر ولا المجلد والصفحة، وكذا في نقل «إعلان حقوق الإنسان»، وممّا يجب الإشارة إليه أنّ المؤلف ذكر أحياناً (وإن كانت نزيرة) إسم كتاب استند عليه في ذكر بعض الأخبار، كما أنه أهمل بصورة مطلقة المعلومات التي يجب الإشارة إليها حول مآخذ أخبار مُصَنَّفِهِ هذا.

٥ ـ عدم وجود وتيرة نظرية معيّنة:

إنّ المؤلف لم يلتزم بوتيرة نظرية معيّنة عند الورود في بحث «سيرة الإمام علي (ع)»، وإنّ التزام المؤلف بموضوع «عدالة الإمام علي (ع)» تصور للقارئ ظلالاً مستعجماً مبهماً خيّم على هذا الكتاب، كما أنّ عدم تبيين مفهوم ومقوّمات العدالة يكون حائلاً أمام جعل العدالة وتيرة نظرية لهذا الكتاب.

٦ ـ عدم التزام المؤلف بمنهاج بحث خاص وصيغة تحرير معيّنة:

لم يلتزم الأستاذ جورج جرداق بطريقة معيّنة في بحث وتحرير الحوادث التاريخية وانتخابها وتهذيبها وعرضها. نعم لقد تطرق المؤلف في مقدمات البحث إلى قياس بين آراء الإمام علي (ع) ومبادئ الثورة الفرنسية، وأظهر آراءه ولو بشكل غير مركّز[٢٧]، وما أجمل هذا البحث لو أشار إليه المؤلف في أوّل الكتاب وبشكل مُسْهَب.

٧ ـ الإنحراف عن أصل الموضوع وبيان ما لا علاقة له بالبحث المطروح على بساط البحث:

الملاحظ أنّ المؤلف الموقّر قد انحرف عن أصل الموضوع في مواقع كثيرة ودخل في مواضيع لا علاقة لها بالبحث المطروح على بساط البحث.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، نقد حول موضوع الرِقّ والرَّقيقِ في الإسلام[٢٨]

حيث لا علاقة لهذا الموضوع بموضوع الكتاب، وإن كان ولابدّ من الإشارة إلى هذا الموضوع كان من الأفضل أن يدون كهامش للموضوع المبحوث وبشكل مختصر.

والظاهر أنّ الأستاذ جورج جرداق كان يتحيّن الفرص فاستغلّ هذه الفرصة وهجم خلالها على الأستاذ النجار.

وبهذا المنوال كان نقد كتاب الأستاذ عبدالله مصطفى المراغي، الموسوم بـ«التشريع الإسلامي لغير المسلمين» حيث لا علاقة له بأصل الموضوع أيضاً[٢٩]، وكذلك كلّ ما ذكره المؤلف حول ظلمات القرون الوسطى[٣٠].

كما أنّ مجموع ما دوّنه المؤلف حول مقدمات الثورة الفرنسية قد سيطر على حجم لا يستهان به من المجلد الثاني من الكتاب يمكن اعتباره حشواً زائداً رغم الأسلوب الرقيق والكلمات العذبة والاصطلاحات الخلّابة والمعاني السامية والبيان الرائع الذي جلب القارئ إليه وأباد الملل والنفور.

ومثل هذا وقع في بداية المجلد الخامس من الكتاب في موضوع «رؤوس الجبال وأعماق البحار»[٣١] حيث لا علاقة له بموضوع الكتاب، وإن حذف هذا الموضوع المتميز بالجمال البياني والفتنة البلاغية لا يُلحق أي ضرر بهذا الأثر ومسار موضوعه.

وإذا نظرنا مليّاً إلى فصل «علي (ع) هو الصيغة العالميّة للشخصيّة العربيّة»[٣٢]، نرى المؤلف قد سلّط الأضواء على رذائل وانحطاط ومفاسد بعض الشخصيات وأعلام الرجال كي يقدم الدليل على أصالة تفوق وغلبة وأفضلية الإمام علي (ع)، ويُعدُّ هذا تطاولاً وتجاوزاً على الحدود التي حددها عنوان هذا الفصل حيث أورد المؤلف نصّاً لا علاقة له بالموضوع.

٨ـ الإبهام المسيطر على المؤلف نتيجة الأفكار الماركسية:

قد تكون عقيدة جورج جرداق في تأثير العوامل الإقتصادية على النزاعات والاعتقادات الفكرية للأفراد والجماعات ونظرات هؤلاء في الدين والإيمان[٣٣] متأثرة بالأفكار الماركسية السائدة في المجتمعات الشرقية زمن تأليف هذا الأثر، أو هكذا يتبادر إلى الأذهان.

وأغلب الظن أنّ هذه الشبهة كانت عالقة بالأذهان زمان نشر الكتاب، حيث لم نشاهد في الملاحظات والآراء التي ساوت المجتمعات الأدبية ودوّنت في آخر المجلد الخامس من الكتاب أيّ رأي غير إيجابي اللّهمّ إلّا مرة واحدة؛ وربما امتدّ إليها مقصُّ الناشر أو المؤلف أثناء تهذيب الملاحظات والآراء التي أشرنا إليها.

أما النقد الوحيد المنشور ضمن الآراء المشار إليها هو نقد العلّامة الشيخ محمد تقي جعفري، حيث أشار إلى دويّ الأصوات العظيم الذي ساد المحافل الثقافية في إيران انعكاساً لما ذكره المؤلف من اصطلاحات أمثال «الإشتراكيّة»، و «المجتمع من الكلّ للكلّ» وما شابه ذلك، وكان تفسير وتأويل ودرك هذه الاصطلاحات مختلفاً، وطلب العلّامة من الأستاذ جورج جرداق أن يبيّن آراءه ونظرياته ومقاصده من استعمال هذه المصطلحات.[٣٤]

٩ ـ خلوّ الأثر من الفهارس والجداول البيانيّة:

إنّ خلوّ هذا الأثر من الفهارس والجداول البيانية المتعارف عليها في هكذا مصنفات أوجد مفازة بين الدارسين والباحثين والمحققين ومضمون هذا الأثر المميز، حتى انّ فهرست الموضوعات لم يدون في أوّل أو ختام كل مجلّد بل دُوِّن في نهاية المجلد الأخير.

القسم الثاني ـ موارد جزئية تتعلق ببعض نصوص الكتاب:

أؤكد مجدداً أنّ بيان هذه الموارد لا تشكل تقصيراً أو وقصاً يوجّه إلى المؤلف، وذلك كون المؤلف مسيحيّاً وقد ناقش أبعاد شخصية الإمام علي (ع) ضمن إطار معتقداته، لهذا فقد نظر إلى الأمور بمنظار آخر، وإذا لم نتطرق إلى هذه النظرات ونشير إلى مضامينها قد يُفهم أنها وقعت موقع القبول والاستحسان، وهذا يؤدي إلى تشتت الأفكار ورسوخ الآراء غير الصائبة في المجتمع، وعلى هذا يجب وضع هذه الأمور على بساط البحث قبل التوجه إلى نقد المؤلَّف والمؤلِّف، كما يجب الاعتناء بها عناية تفوق نصوص المؤلَّف وتسمو على المؤلِّف، والنظر إليها نظرة تجسّم ما سيؤدي إلى نشر هذه النصوص مستقبلاً.

١ ـ في نهاية هذا القسم استعمل المؤلف مصطلح «هذا أخي»[٣٥] الذي نطق به الرسول

الأكرم (ص) عند انتخابه أميرالمؤمنين علي (ع) للخلافة، وقد أورد المؤلف هذا الاصطلاح بشكل كأنّ الرسول قد عيّن عليّاً خليفة له وأخبر الناس بذلك كان نتيجة مودّة وعطف وحُنو. كما يجب الإشارة إلى أنّ المؤلف قد صرّح أنّ مقصود النبي (ص) من هذا هو أن يعلم الناس اعتبار ومنزلة ومكانة الإمام علي (ع) والشهادة له بمسؤولية إتمام مسيرة نبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين (ص). نعم لقد اختار الرسول (ص) عليّاً (ع) خليفة للاعتماد عليه ولمحبته له وليس من أجل كونه هاشمياً وابن عم الرسول (ص).[٣٦]

ومن الطبيعي في معتقداتنا أنّ هذا الكمّ والحجم لم يكفِ لبيان الجانب الرباني للخلافة والأمر الإلهي في تعيين أميرالمؤمنين عليّ (ع) إماماً لهذه الأمة، ومن الطبيعي أن تكون الخلافة تابعة لها تلقائياً.

أما ما ذكره المؤلف فلم يتعدّ كون ما حصل أمراً خصوصياً صادراً عن عاطفة، وكأن هذا الأمر لا علاقة له بإرادة السماء.

٢ ـ عندما يتطرق الأستاذ جورج جرداق إلى أخبار الثوريين والمصلحين يذكر أنّ بعضهم قد قُتل في سبيل تقويم ثورته أمثال سقراط، والمسيح (ع)، وعليّ بن أبي طالب (ع)[٣٧].

نعم إنّ هذه الآراء صادقة لدى المسيحيّين، ولا اعتبار لها لدى المسلمين لاعتقادهم بأن المسيح (ع) لم يقتل، ولم يُصلب، وإنّ القرآن الكريم ذكر هذا بصراحة، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عيسَىٰ ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوا فِيْهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً، بَلْ رَفَعَهُ أللهُ إِلَيهِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً﴾[٣٨].

٣ ـ أشار المؤلف إلى أنّ الإسلام والرسول (ص) قد أوليا اهتماماً خاصّاً بالشؤون الاجتماعية، وذكر أنّ الإسلام قد قدّم الخدمات الاجتماعية على الصوم والصلاة[٣٩]. نعم إنّ العقيدة الإسلامية تقول: «إنّ حقّ الناس مقدَّم على حقّ الله» ولكن يجب أن لا ننسى أنّ العقيدة الإسلامية لا تسمح بتقدم الشؤون الاجتماعية على الصوم والصلاة، لأنّ الصوم والصلاة من الواجبات ولا يمكن بأي وجه من الوجوه ترك هذه العبادات، اللّهم إلّا في

تعارض مستحبات هذه الواجبات، مثل تعارض إقامة الصلاة في أوّل وقتها مع حقّ الناس كحضور الدائن في ذلك الوقت، وهنا يمكننا أن نقدم حقّ الناس (مراجعة الدائن) على مستحبات الواجبات (إقامة الصلاة في أوّل الوقت)، أو في الصيام المستحب (غير الواجب) حيث يجوز الإفطار تلبية لدعوة داعٍ احتراماً له.

ولا يعني هذا تقدم الشؤون الاجتماعية على الصوم والصلاة.

٤ ـ نقل المؤلف الموقّر خبراً عن الرسول الأكرم (ص) بأنه عزل أحد الولاة لقبوله هديّة[٤٠].

وكم كنت أتمنى لو أنّ المؤلف المحترم ذكر مصدر هذا الخبر كي تكون الاستجابة له مقبولة، حيث لم أجد في أخبار الرسول (ص) المشهورة ما يؤيد هذا.

٥ ـ أشار المؤلف إن حاكم الإسلام منتخب اختيارياً من الأمة ولا يكتسب قدرته إلّا من الشعب[٤١]، وهذا لا يتفق واعتقاداتنا الإسلامية القائلة بأن منشأ حكومة العدل سماويّ ومشروعيتها إلٰهيّة.

٦ ـ ذكر الأستاذ جورج جرداق أنّ الدافع الذي دفع الإمام عليّ (ع) بقبول الخلافة هو عامل العدالة الاجتماعية وخاصة ذلك الخطر المحدق بها[٤٢]. نعم إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ حقّ الخلافة أحد شؤون الولاية فإنّ ما ذهب إليه الأستاذ جرداق صائباً وإلّا لا كفاية فيما أشار إليه.

٧ ـ أشار المؤلف الموقر في موضوع «الحرية وينابيعها»[٤٣] وموضوع «الحرية بين الفرد والجماعة»[٤٤] وفي قسم من موضوع «لا تعصّب ولا طلاق»[٤٥] أشار إلى موضوع الحرية وحرية الفكر والعمل في سيرة علي (ع) وذكر أنّ الوثائق الوحيد الذي يوثق الحرية هو عامل عدم التجاوز على نطاق حرية الآخرين[٤٦]. وإنّ هذا المنطلق لمفهوم الحرية هو المفهوم السائد في الإعتقاد الليبرالي الغربي «لا يتماشى مع المعتقدات الدينية وإنّ أفضل نطاق اجتماعيّ للحرية هو الإلتزام والمسؤولية الإلهيّة والشرعية المفروضة على العباد».

٨ ـ أشار المؤلف الموقر في مبحث «الحرب والسلم» إلى أن موقف الإمام علي (ع) فيما سيصل إليه المجتمع مثال احتذى به حذو أشعيا النبي (سلام الله عليه)، ومن ذلك ما قاله

الإمام عليّ (ع): «يسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الماعز...»[٤٧] المفهوم من جمع الذئب والخروف لغويّاً أنّ الذئب مظهر للظالم والخروف مظهر للمظلوم، فإذا كان المراد من هذا، العيش الرضي الهادئ بين الظالم والمظلوم، فهذا لا يتفق بأي حال من الأحوال مع مبادئ الدين الإسلامي وخطب ومبادئ الإمام علي (ع)، وإن كان المراد هو معرفة كلّ مخلوق حدود نفسه فهذا هو الصحيح والمطلوب.

٩ ـ التغاضي أو السهو عن الإلهام والجانب الإلهي في شخصية الإمام علي (ع) أثناء تدوين مواضيع الكتاب، وهذا الأمر واضح للعيان وخاصة أثناء المقارنة الجذابة الرائعة التي قدّمها الأستاذ جرداق بين جمعية حقوق الإنسان في فرنسا ومنشور حقوق الإنسان العالمي من جهة وحقوق الإنسان من منظار الإمام عليّ (ع) من جهة أخرى وبما أنّ الجهة الأُولى تمثل النظرة الإنسانية والجهة الثانية تمثل النظرة الإلهية التي يجب الإشارة إليها في هذا المضمار لكنّ السهو قد أبعد المؤلف عن الهدف المنشود ولم يتطرق إلى موضوع الجهة الثانية.

١٠ ـ جعل المؤلف «صاحب الزِّنج» من أولاد الحسين (ع) وبما أنّ هذا الأمر «مسألة فيها نظر» فكان على المؤلف أن يذكر هذا بشكل يظهر فيه الظنّ والحدس والإحتمال كما فعله الطبري في تاريخه حيث قال: «ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه «عليّ بن محمد... بن الحسين بن علي بن أبي طالب»، وجمع إليه الزنج...»[٤٩].

١١ ـ ذكر المؤلف في الصفحة ٤١١ السيد جمال الدين ولقّبه «الأفغاني»[٥٠] وبما أنّ هناك أبحاث ودراسات حول السيد جمال الدين وهل هو «أسد آبادي» أم «أفغاني»، ورغم أن لقب «الأفغاني» شاع في بعض البلاد العربية والإسلامية كان من الأجدر بالمؤلف أن يتمعّن في هذا الأمر.

١٢ ـ استنتج المؤلف من عبارة «كاد الفقرُ أن يكون كفراً» أنّ الفقير نتيجة فقره كافر، وهذا الاستنتاج يحتاج إلى دراسة أكثر لأن ظاهر الحديث أنّ الفقير نتيجة فقره كاد أن يكون كافراً (أي قارب الكفر ولم يكفر)[٥١].

١٣ ـ أشار الأستاذ جرداق أنّ آخر ما قاله الإمام علي (ع): «أنا بالأمسِ صاحبكم، وأنا اليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، غفر الله لي ولكم»[٥٢] ولكنه لم يذكر مصدراً لهذا الإدعاء،

وإن كان قول أميرالمؤمنين عليّ (ع) هو الأخير لكنه ليس الآخر[٥٣].

١٤ ـ ذكر المؤلف: «ولسنا نزعم أنّ أخبار عليّ في الزهد والتقشُّف تفوق أخبار سقراط»[٥٤]. من الطبيعي أنّ هذا ما لا نعتقده، وإنّ معتقداتنا تقول إنّ عليّاً (ع) أزهد الناس طُرّاً، وطبعاً حسب المفهوم الصحيح والحقيقي للزهد في الإسلام.

١٥ ـ قال المؤلف: «ليس في أبناء آدم وحوّاء من أخذ نفسه بالحقّ فوق ما فعل عليّ وسقراط»[٥٥] وبما أنّ سقراط ليس معصوماً في عقائدنا، وإنّ عليّاً قد تربّى في أحضان الرسول (ص)، وهما أول المعصومين في الإسلام، لهذا لا وجه قياس بين أحد من البشر وبين المعصومين عليهم السلام.

١٦ ـ قدّم المؤلف بعد المقارنة بين نظرة الإمام علي (ع) لحقوق الإنسان، ونظرة جمعية حقوق الإنسان في فرنسا ومنشور حقوق الإنسان العالمي، قدّم مقايسة متميزة ذات فائدة جمّة، وكان من الأجدر أن يقدّم مقايسة مشابهة بين عليّ (ع) وسقراط ضمن جدول بيانيّ.

١٧ ـ إنّ نقل كلام أميرالمؤمنين علي (ع) حول «فدك» وبدون الإشارة إلى مصدر، يحتاج إلى وقفة أناة وتمهّل وتأمل، لقد ذكر الأستاذ جرداق قول الإمام علي (ع) كما يلي: «وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها»[٥٦]. إنّ هذا القول في عدم الأهمية بفدك لا يتفق مع الحقيقة. إن فدك رمز الحق الشرعي لآل البيت (ع)، وإنّ زهد أميرالمؤمنين علي (ع) بالدنيا وما فيها ليس معناه أن لا أهمية لأعمال الظلم الذي فُرض على آل محمد سلام الله عليهم.

١٨ ـ نقل الأستاذ جرداق قول الإمام علي بن أبي طالب (ع): «الإنسان أخو الإنسان، يتأمله ويسد حاجته»[٥٧] بدون الإشارة إلى المصدر، وأشار إلى أنّ هذا ما يرغبه أبناء الأمة العربية عبر العصور المختلفة، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل ما قصده الإمام عليّ (ع) بهذا الإنسان العربي فقط، أم أبناء البشرية جمعاء؟ هل المقصود هو النظرة القومية المحدودة أم النظرة الإنسانية التي تضم كافة سكان المعمورة على اختلاف القوميات والألوان؟ حتى إذا خفضنا بتفسيرنا هذا الإمام علي (ع) إلى مستوى القومي المتزمّت، فإنّ القول الذي صرّح به الإمام علي (ع) ينفي العنصريات وتفاضل القوميات ويعتبر الإنسانية

أعلى وأفضل من العنصر والجنس والأصل والعرق والأُرومة.

١٩ ـ عندما تطرق المؤلف إلى نهضات وانتفاضات وثورات الشيعة السياسية والاجتماعية اعتبرها قومياً: «ولشيعة عليّ في تاريخنا القديم مواقف ضد الظلم بأنواعه جميعاً، هي الشرف كلّه، وهي إرادة عليّ كلّها. وهي بذلك من صميم العمل القومي العربي كما يجب أن يكون...»[٥٨]. إنّ هذا مغالاة لا يمكن الدفاع عنها؛ إذا كانت حركات وانتفاضات الشيعة قومية، فلِمَ اشترك شيعة القوميات الأخرى بها، أو نهجوا على منهاجها استجابة ونصرة لها. وإذا نُسبت هذه التضحيات الإسلامية إلى الأعراب، فلِمَ لم يمشوا جميعاً في مناكبها؟! وهل يمكن التغاضي عن العقيدة في هذا المضمار؟!

٢٠ ـ أشار المؤلف إلى أنّ الظلم والتعسف والإضطهاد الواقع على أبناء علي (ع) وبعض العوامل الاجتماعية الأخرى جعلت الجماهير تتعلّق بهم أشدّ تعلق.[٥٩]

نعم إنّ هذا أحد الأسباب المهمة وليس السبب الأوحد. ولو كان ما ذكره المؤلف المحترم السبب الأوحد لكانت الجماهير قد انصرفت من حول أئمة أهل البيت أثناء الفترات التي أدت بالأئمة الابتعاد عن الساحة السياسية مراعاة لما كان يجب. ومن الطبيعي أنّ دور الظلم والجور والتعدي والاضطهاد والتضييق والعتو والقسوة من الأسباب المهمة في مساندة الشعوب لأمر ما، ولكن ليس كلّ من رفع هذه الراية تعلّق الجماهير به. وهنا يجب أن لا نتغاضى عن الأسباب التي جعلت الجماهير تلتف حول الأئمة الأطهار كوصية رسول الله والقرآن المجيد بآل البيت (ع)، إضافة إلى نور المعارف الإسلاميّة التي كانوا يتحلّون بها وكونهم قدوة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وآيات الله في خلقه وغيرها، جعلت العباد يلتفون حول آل علي (ع).

٢١ ـ ذكر المؤلف في فصل «مع الثائرين»[٦٠] أخباراً عن عقائد الإسماعيلية دوّن الإشارة إلى المصدر أيضاً[٦١] كالمساواة بين الرجل والمرأة، وإبطال ملكيّة الأراضي وتوزيعها مجاناً بين المعوزين، و... . وجعل كلّ هذا من عقائد الإسماعيلية. ومن المعروف إنّ هذا ليس من معتقدات الإسماعيلية الحقيقية الخالصة، ومن الممكن أن يكون لهذا الأمر أنصاراً بين بعض فرقهم.

٢٢ ـ وقد تطرق إلى القرامطة وأطرى الأعمال التي قدّموها وكان تعاطفه مع القرامطة واضحاً للعيان.[٦٢] وقد تغافل عن نزعتهم المتهوّرة، وسرقتهم الحجر الأسود حيث ردّوه إلى مكة بعد اثنتين وعشرين سنة، ولا يخفى أنّ الشيعة الإثنى عشرية تتبرأ من هذه الفرقة المتهوّرة المغامرة كما تبرأ منها كافة المذاهب الإسلامية الأخرى.

٢٣ ـ تطرق المؤلف إلى موضوع «الإمام المنتظر الحجة ابن الحسن ـ عج ـ» وربطها بنضال الشيعة ضد الظلم والتعسف والطغيان، وكأن فكرة الإمام المنتظر وليدة النضال المشار إليه[٦٣] وذلك لعدم درك المؤلف مفهوم المهدويّة الصحيح وجهله جذور منشأ هذه الفكرة في عقائدنا الدينية.

إنّ المهدويّة عقيدة حقّة أثيلة راسخة ولم تظهر نتيجة العوامل الإقتصادية والسياسية والاجتماعية السائدة في مجتمعات ذلك الزمن.

٢٤ ـ بحث المؤلف في مطلع فصل «الأوروبيون والإمام» موضوع المستشرقين ورغم كون البحث مختصراً إلّا أنه كان عميقاً وغنيّاً حيث: «لا نغالي إذا نحن قلنا إنّ هؤلاء المستشرقين هم الذين فتحوا الباب واسعاً على حضارات الشرق القديم والمتوسط، بعد أن ألقت عصور الانحطاط على معالمها ستاراً أسودَ كثيف السّواد. ولا نغالي كذلك إذا قلنا إنهم أسهموا الإسهام الأكبر في الكشف عن الكثير من الحقائق التاريخية في الماضي العربي... غير أنّا نستثني منهم المغرضين الماكرين الذين سخّروا إمكاناتهم العلمية لغايات لا نجور عليهم إذا نعتناها بأنها تافهة... وفي هؤلاء المستشرقين قلّة لم تعدل ولم تنصف، إمّا لغاية مقصودة من عمل الغرب... وإمّا لخطأ في النظر...»[٦٤]، وأضاف قائلاً: «أمّا المستشرقون فمن الطبيعي أن يكون عليٌّ في طليعة من دارت عليه أبحاثهم...»[٦٥].

إنّ هذا مبالغ به، نعم لقد استحلت الأبحاث التي قدّمها المستشرقون حول الرسول (ص) مكان الصدارة، أمّا بعد الرسول (ص) فكانت الأبحاث مسلطة على الرجال الذين تركوا آثاراً في حياة الأوروبيين فقط أمثال محمد الفاتح، أما سيرة الإمام علي (ع) فلم تحظَ بالمكانة اللّائقة بها في آثار هؤلاء.[٦٦]

والسلام على من اتّبع الهدى.

الهوامش

١. الهوامش التي أُشير فيها إلى رقم المجلد والصفحة مصدرها الطبعة المنشورة في خمسة مجلدات.

٢. نشر الأستاذ السيد هادي خسروشاهي ترجتمته لهذا الكتاب بهذا الإسم.

٣. معجم البابطين، ج ١، ص ٧١٠ (كما تقدم جزيل الشكر إلى سيادة الأستاذ العزيز الدكتور حامد صدقي لمنحنا المصطلحات والمعلومات اللازمة المذكورة في هذا المعجم، كما نرجو مراجعة: ج ٥، ص ١٢٥٧، كتاب علي صوت العدالة الإنسانية (نظر الأستاذ توفيق إبراهيم)، وص ١٢٧٣ (نظر الأستاذ إحسان توفيق).

٤. ترجمة الأستاذ السيد خسروشاهي لهذا الكتاب، ج ٦، ص ٨٠٠ ـ ٨٠١.

٥. ج ١ (مقدمة الناشر)، ص ٧.

٦. كنموذج، ج ١ (مقدمة الناشر)، ص ٧.

٧. ترجمة السيد خسروشاهي، ج ٦، ص ٨٠٠.

٨. علي صوت العدالة الإنسانيّة، ج ٥، ص ١٢٤٣.

٩. ن.م، ج ٥، ص ١٢٦٥.

١٠. المائدة / ٨٢ ... لتجدنّ أقربهم مودّة للذينَ آمنوا الّذين قالُوا إنّا نصارىٰ.

١١. علي صوت العدالة الإنسانيّة، ج ١، ص ٦٧.

١٢. ن.م، ج ٥، ص ١٢٤٧ (الأستاذ صقر يوف صقر).

١٣. ن.م، ج ٥، ص ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧ (الأستاذ توفيق إبراهيم).

١٤. ن.م، ج ٤، ص ٩٩٥ ـ ١٠٠٧، انتخب الأستاذ جلال الدين الفارسي هذا الإسم للقسم الّذي ترجمه من الكتاب.

١٥. ن.م، ج ٥، ص ١٢٦٠ (نظر الأستاذ جان كميد).

١٦. ن.م، ج ٥، ص ١١٨٦ وما بعدها.

١٧. ن.م، ج ٥، ص ١٢٤٧.

١٨. ن.م، ج ٥، ص ١٠٤٧.

١٩. المهرجة: الباطل.

٢٠. علي صوت العدالة الإنسانية، ج ٥، ص ١٠٤٨.

٢١. ن.م، ج ٥، ص ١١٦٢.

٢٢. ن.م، ج ٥، ص ١٠٦١ ـ ١٠٦٣.

٢٣. ن.م، ج ٥، ص ١١٤٤ وما بعدها.

٢٤. ن.م، ج ٥، ص ١٠٤١.

٢٥. ن.م، ج ١، ص ٣٢.

٢٦. ن.م، ج ٥، ص ١٢١٦.

٢٧. ن.م، ج ٢، ص ٤١٢ وما بعدها، وص ٤٢٦.

٢٨. ن.م، ج ٢، ص ٤١٦ ـ ٤٢٦.

٢٩. ن.م، ج ٢، ص ٤٢٨.

٣٠. ن.م، ج ٢، ص ٢٨٧ ـ ٣١١.

٣١. ن.م، ج ٥، ص ١٠١١ ـ ١٠١٧.

٣٢. ن.م، ج ٥، ص ١٠٦٦ ـ ١١٠٠.

٣٣. ن.م، ج ٥، ص ١١٨١.

٣٤. ن.م، ج ٥، ص ١٢٥١.

٣٥. ن.م، ج ١، ص ٦٤ ـ ٧١.

٣٦. ن.م، ج ١، ص ٧١.

٣٧. ن.م، ج ١، ص ١٢٣.

٣٨. سورة النساء، الآية ١٥٧ و ١٥٨.

٣٩. علي صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ١٤٦، وج ٢، ص ٤٢٢.

٤٠. ن.م، ج ١، ص ١٥٥.

٤١. ن.م، ج ١، ص ١٥٦ وص ١٦٩.

٤٢. ن.م، ج ١، ص ١٦٣.

٤٣. ن.م، ج ١، ص ١٧١ ـ ١٨٢.

٤٤. ن.م، ج ١، ص ١٨٣ ـ ١٨٧.

٤٥. ن.م، ج ١، ص ٢١٥ ـ ٢٢٣.

٤٦. ن.م، ج ١، ص ١٨٢، وص ٢١٦ (كمثال).

٤٧. ن.م، ج ١، ص ٢٣٨.

٤٨. ن.م، ج ٢، ص ٢٦٤.

٤٩. تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٥٤٣.

٥٠. علي صوت العدالة الإنسانية، ج ٢، ص ٤١١.

٥١. ن.م، ج ٢، ص ٤٢٤.

٥٢. ن.م، ج ٣، ص ٥٩٤.

٥٣. أنظر رسول محلّاتي، ج ٢، ص ٣٠٥ ـ ٣٥٥.

٥٤. عي صوت العدالة الإنسانيّة، ج ٣، ص ٦٢٢.

٥٥. ن.م، ج ٣، ص ٦٤٧.

٥٦. ن.م، ج ٤، ص ٩١٢.

٥٧. ن.م، ج ٥، ص ١٠٦٥.

٥٨. ن.م، ج ٥، ص ١١٧٣.

٥٩. ن.م، ج ٥، ج ١١٧٥ ـ ١١٧٦ و ١١٨٣.

٦٠. ن.م، ج ٥، ص ١١٦٤ ـ ١١٨٥.

٦١. ن.م، ج ٥، ص ١١٧٧.

٦٢. ن.م، ج ٥، ص ١١٧٧.

٦٣. ن.م، ج ٥، ص ١١٧٨.

٦٤. ن.م، ج ٥، ص ١٢٢٧ ـ ١٢٢٨.

٦٥. ن.م، ج ٥، ص ١٢٢٩.

٦٦. كان الدكتور الويري قد نشر مقاله هذا باللغة الفارسيّة في «فصل‌نامه علوم انسانى» العدد ٤ و ٥.

المصادر

- القرآن الكريم.
- جرداق ـ جورج سجعان. الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة ـ بيروت ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٥٦ م.
- جرداق ـ جورج سجعان. الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة ـ ٥ مجلدات ـ بيروت ـ دار الروائع ـ ١٩٥٨ م.
- إمام علي صداى عدالت إنساني، ٦ أجزاء ـ في ٣ مجلدات ـ ترجمة الأستاذ هادي خسروشاهي ـ قم ـ انتشارات خُرّم ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٧٥ هـ. ش، (هذا الأثر هو ترجمة لكتاب «علي صوت العدالة الإنسانيّة» بالفارسيّة).
- رسول محلّاتي ـ سيد هاشم ـ «زندگاني حضرت أميرالمؤمنين (ع)» ـ بالفارسية ـ طهران ـ إنتشارات علمية إسلامية ـ ١٤٠٥ هـ. ق.
- الطبري ـ ابو جعفر محمد بن جدير ـ تاريخ الأُمم والملوك (المشهور بتاريخ الطبري) ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي ـ بدون تاريخ.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ٦ مجلدات ـ الكويت ـ مطابع دار القبس ـ الطبعة الأُولى، ١٩٩٥ م.

الأمة الإسلامية والعولمة

(خلاصة المقالة)

الدكتور سيد مصطفى محقق داماد
رئيس قسم الدراسات الإسلاميّة في أكاديميّة
العلوم الإيرانيّة

للعولمة معانٍ في مجالات الإقتصاد والسياسة المختلفة، كما قدمت عنها تعاريف مختلفة من قبل الباحثين المتخصصين. وفي رأيي إنّ بالإمكان القول باختصار إنّ العولمة هي أن يشيع نمط خاص من الحياة بحيث يشمل ويغطي جميع البشرية على الأرض. وهو التيار الذي يؤدي إلى ظهور التعامل والارتباط والعلاقات المتبادلة بين الحقائق والرؤى والمفاهيم وأبناء البشرية، والأسلوب الذي يخلق الارتباط المتبادل، ليس الارتباط الفكري المتبادل فحسب، بل الارتباط السياسي والاقتصادي والتنظيمي أيضاً في عالم اليوم. والعولمة هي معقد الآمال بالنسبة إلى البعض، فيما هي مثيرة للقلق بالنسبة إلى البعض الآخر. والمجتمعات التي ترى نفسها متفوقة وذات قوة عظمى من ناحية القوة السياسية والتكنولوجيّة كالمجتمع الأميركي تتطلع الآن إلى ظاهرة العولمة على أمل أن تغطي بثقافتها جميع العالم، وعلى العكس من ذلك فإن المجتمعات الضعيفة يعتريها القلق والخوف من أن تداس تحت أقدام الغزاة الثقافيين.

وعلى الأمة الإسلامية أن تسعى لأن تكون في هذه المواجهة غالبة لا مغلوبة، ومثل هذه المقدِرة هي أمر مسلّم به بالنسبة إلى الأمة الإسلامية بأحقيتها القائمة على الوحي الإلهي